

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة فصلت مكية

حَرَ ﴿٦﴾ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٧﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ
قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾.

إن جعلت. ﴿حَم﴾ إسمًا للسورة كانت في موضع
المبتدا و ﴿تَنْزِيلٌ﴾ خبره وإن جعلتها تعديداً للحروف كان
تنزيل خبر المبتدا محذوف و ﴿كِتَابٌ﴾ بدل من تنزيل، أو
خبر بعد خبر أو خبر مبتدا محذوف وجوز الزجاج أن
يكون تنزيل مبتدا، وكتاب خبره ووجه أن تنزيلاً تخصص
بالصفة فساغ وقوعه مبتدا ﴿فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ ميزت وجعلت
تفاصيل في معان مختلفة من أحكام وأمثال ومواعظ ووعيد
ووعيد وغير ذلك، وقرئ فصلت أي فرقت بين الحق
والباطل أو فصل بعضها من بعض باختلاف معانيها من
قولك فصل من البلد ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ نصب على
الاختصاص، والمدح أي أريد بهذا الكتاب المفصل قرآنًا من
صفته كيت وكيت وقيل: هو نصب على الحال أي فصلت
آياته في حال كونه قرآنًا عربيًّا ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أي لقوم
عرب يعلمون ما نزل عليهم من الآيات المفصلة المبينة
بلسانهم العربي المبين لا يلبس عليهم شيء منه.

فإن قُلْتُ: بم يتعلق قوله لقوم يعلمون؛ اِقْلُتْ: يجوز أن
يتعلق بتنزيل أو بفصلت أي تنزيل يفرق بين الصلوات
والصفات.

بِشِيرَا وَذِيْرَا فَاعْرَضَ أَكْرَهُمْ لَهُمْ لَّا يَسْمَعُونَ ﴿١٠﴾.

وقرئ بشير ونذير ونبير صفة للكتاب أو خبر مبتدا محذوف
﴿فَهُمْ لَّا يَسْمَعُونَ﴾ لا يقبلون ولا يطيعون من قولك
تشفعت إلى فلان فلم يسمع قلبي ولقد سمعه ولكنه لما لم
يقبله ولم يعمل بمقتضاه فكانه لم يسمعه.

وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكْثَبٍ مَّا نَدْعُوًّا إِلَيْهِ وَفِيْ مَادَانَا وَفَرًّا مِنَّا بَيْنَا
وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْنَا عَمَلًا بَاطِلًا ﴿٥﴾.

والاكتة جمع كنان وهو الغطاء، والقر بالفتح الثقل
وقرئ بالكسر وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن تقبل الحق
واعتقاده كأنها في غلف وأغطية تمنع من نفوذه فيها كقوله
تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ (١) ومع اسماعهم له كان بها
صمما عنه ولتباعد المذهبين والدينين كان بينهم وما هم
عليه وبين رسول الله ﷺ وما هو عليه حجابًا ساترًا
﴿وحاجزًا منيعًا من جبل، أو نحوه فلا تلاقي ولا تراخي
﴿فَاعْمَلْ﴾ على دينك ﴿إِنَّا عَامِلُونَ﴾ أي على ديننا أو
فاعمل في إبطال أمرنا إننا عاملون في إبطال أمرك، وقرئ

إنا عاملون.

فإن قُلْتُ: هل لزيادة من في قوله ﴿ومن بيننا وبينك
حجاب﴾ فائدة؛ قُلْتُ: نعم لأنه لو قيل: وبيننا وبينك حجاب
لكان المعنى: أن حجابًا حاصل وسط الجهتين وأما بزيادة
من فالمعنى أن حجابًا ابتدا منا، وابتدا منك فالمسافة
المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها.

فإن قُلْتُ: هلا قيل على قلوبنا اكنة كما قيل: وفي آذاننا
وقر ليكون الكلام على نمط واحد؛ قُلْتُ: هو على نمط
واحد لأنه لا فرق في المعنى بين قولك قلوبنا في اكنة
والدليل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ اٰكِنَةً﴾ (٢)
ولو قيل: إننا جعلنا قلوبهم في اكنة لم يختلف المعنى
وترى المطابع منهم لا يراعون الطباق والملاحظة إلا في:
المعاني.

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ
فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ لِلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾.

فإن قُلْتُ: من أين كان قوله: ﴿إنما أنا بشر مثلكم
يوحى إلي﴾ جوابًا لقولهم: ﴿قلوبنا في اكنة﴾؛ قُلْتُ: من
حيث أنه قال لهم إنني لست بملك، وإنما أنا بشر مثلكم وقد
أوحى إلي بونكم فصحت بالوحي إلي وأنا بشر نبوتي وإذا
صحت نبوتي وجب عليكم اتباعي وفيما يوحى إلي أن
إلهكم إله واحد ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾، فاستوتوا إليه بالتوحيد
وإخلاص العبادة غير ذاهبين يمينًا ولا شمالًا ولا ملتفتين
إلى ما يسؤل لكم الشيطان من اتخاذ الأولياء والشفعاء
﴿وتوبوا إليه﴾ مما سبق لكم من الشرك ﴿واستغفروه﴾،
وقرئ قال: إنما أنا بشر.

الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾.

فإن قُلْتُ: لم خص من بين أوصاف المشركين منع
الزكاة مقرونًا بالكفر بالآخرة؛ قُلْتُ: لأن أحب شيء إلى
الإنسان ماله وهو شقيق روحه، فإذا بذله في سبيل الله
فذلك أقوى دليل على ثباته واستقامته وصدق نيته ونصوح
طويته ألا ترى إلى قوله عز وجل: ﴿ومثل الذين ينفقون
أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتًا من أنفسهم﴾ أي يثبتون
أنفسهم ويدلون على ثباتها بإنفاق الأموال، وما خدع
المؤلفة قلوبهم إلا بلمظة من الدنيا فقرت عصبيتهم ولانت
شكيمتهم وأهل الردة بعد رسول الله ﷺ ما تظاهروا إلا
بمنع الزكاة فنصبت لهم الحرب وجوهدا، وفيه بعث
للمؤمنين على أداء الزكاة وتخويف شديد من منعها حيث
جعل المنع من أوصاف المشركين وقرن بالكفر بالآخرة
وقيل: كانت قريش يطمعون الحاج ويحرمون من آمن منهم
برسول الله ﷺ وقيل: لا يفعلون ما يكونون به أزكيا.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾.

سواء فكانت في أربعة أيام سواء فائدة ليست في يومين وهي الدلالة على أنها كانت أياماً كاملة بغير زيادة ولا نقصان، ولو قال في يومين وقد يطلق اليومان على أكثرهما لكان يجوز أن يريد باليومين الأولين والآخرين أكثرهما.

ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا لَمَّا بَدَأْتَهُنَّ ﴿١١﴾.

﴿ثم استوى إلى السماء﴾ من قولك استوى إلى مكان كذا إذا توجه إليه توجهًا لا يلوي على شيء وهو من الاستواء الذي هو ضد الاعوجاج، ونحوه قولهم استقام إليه وامتد إليه ومنه قوله تعالى: ﴿فاستقيموا إليه﴾⁽²⁾ والمعنى: ثم دعاه داعي الحكمة إلى خلق السماء بعد خلق الأرض وما فيها من غير صارف يصرفه عن ذلك قيل: كان عرشه قبل خلق السموات والأرض على الماء فأخرج من الماء دخانًا فارتفع فوق الماء وعلا عليه فايبس الماء فجعله أرضًا واحدة ثم فتقها فجعلها أرضين ثم خلق السماء من الدخان المرتفع، ومعنى أمر السماء والأرض بالإتيان وامتثالهما أنه أراد تكوينهما فلم يمتنعا عليه ووجدتا كما أرادهما وكانتا في تلك كالمأمور المطيع إذا ورد عليه فعل الأمر المطاع وهو من المجاز الذي يسمى التمثيل، ويجوز أن يكون تخيلاً ويبني الأمر فيه على أن الله تعالى كلم السماء والأرض وقال لهما: ائتيا شتتما ذلك أو أبيتما فقالتا: آتينا على الطوع لا على الكره والغرض تصوير أثر قدرته في المقنورات لا غير من غير أن يحقق شيء من الخطاب والجواب، ونحوه قول القائل قال الجدار للوئد لم تشقني قال الوئد: أسال من يبقني فلم يتركني وراثي الحجر الذي وراثي.

فإن قُلْتُ: لم نكر الأرض مع السماء وانتظمهما في الأمر بالإتيان والأرض مخلوقة قبل السماء بيومين؟ قُلْتُ: قد خلق جرم الأرض أولاً غير مدحوة، ثم نحاهما بعد خلق السماء كما قال تعالى: ﴿والأرض بعد ذلك نحاها﴾⁽³⁾ فالمعنى ائتيا على ما ينبغي أن تأتيا عليه من الشكل والوصف اثنتي يا أرض منحوة قراراً ومهاداً لاهلك واثتي يا سماء مقبية سقفاً لهم، ومعنى الإتيان: الحصول والوقوع كما نقول أتى عمله مرضياً وجاء مقبولاً، ويجوز أن يكون المعنى لتأت كل واحدة منكما صاحبتهما الإتيان الذي أريده وتقتضيه الحكمة والتبدير من كون الأرض قراراً للسماء وكون السماء سقفاً للأرض، وتنصره قراءة من قرأ آتياً وآتينا من المواتاة وهي الموافقة أي لتؤات كل واحدة أختها ولتوافقها قالتا وافقنا وساعدنا ويحتمل وافقاً أمرى ومشيتي ولا تمتنعا.

وهو الإيمان الممنون المقطوع وقيل لا يمن عليهم لأنه إنما يمن التفضل، فأما الأجر فحق أدأوه وقيل: نزلت في المرضى والزمنى والهرمى إذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الأجر كما صح ما كانوا يعملون.

﴿قُلْ أَنتُمْ لَكُمْ رُؤُوسٌ﴾ بِأَلَدِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجَمَّلُوا لَهُ إِذْ أَبَدًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢﴾.

﴿أنتكم﴾ بهمزتين الثانية بين بين وأنتكم بالف بين همزتين ﴿نلك﴾ الذي قدر على خلق الأرض في مدة يومين هو ﴿رب للعالمين﴾.

وَجَعَلْنَا فِيهَا رُؤُوسًا مِّن قَوْمٍ وَنَجَّيْنَا فِيهَا قَوْمًا مِّنَ الْغَمِّ أَكْبَرُ سَوَاءٌ لِلنَّاسِ لِيَأْتِيَهُنَّ ﴿١٣﴾.

﴿رواسي﴾ جبلاً ثوابت.

فإن قُلْتُ: ما معنى قوله ﴿من فوقها﴾ وهل اختصر على قوله وجعل فيها رواسي؟ كقوله تعالى: ﴿وجعلنا فيها رواسي شامخات﴾⁽¹⁾ وجعلنا في الأرض رواسي وجعل لها رواسي قُلْتُ: لو كانت تحتها كالأساطين لها تستقر عليها أو مركوزة فيها كالمسامير لمنعت من الميدان أيضاً، وإنما اختار إرساءها فوق الأرض لتكون المنافع في الجبال معرض لطالبها حاضرة محصلها، وليبصر أن الأرض والجبال أثقال على أثقال كلها مفتقرة إلى ممسك لا بد لها منه وهو ممسكها عز وعلا بقدرته ﴿وبارك فيها﴾ وأكثر خيرها وأتمها ﴿وقدر فيها أقواتها﴾ أرزاق أهلها ومعايشهم وما يصلحهم وفي قراءة ابن مسعود وقسم فيها أقواتها ﴿في أربعة أيام سواء﴾ فذللك لمدة خلق الله الأرض وما فيها كأنه قال: كل ذلك في أربعة أيام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان، قيل: خلق الله الأرض في يوم الأحد ويوم الإثنين وما فيها يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء وقال الزجاج: في أربعة أيام في تنمة أربعة أيام يريد بالتنمة اليومين، وقرئ سواء بالحركات الثلاث الجر على الوصف والنصب على استوت سواء أي استواء والرفع على هي سواء.

فإن قُلْتُ: بم تعلق قوله: ﴿للسائلين﴾! قُلْتُ: بمحذوف كأنه قيل: هذا الحصر لأجل من سأل في كم خلقت الأرض، وما فيها أو يقدر أي قدر فيها الأقوات لأجل الطالبين لها المحتاجين إليها من المقتاتين وهذا الوجه الأخير لا يستقيم إلا على تفسير الزجاج.

فإن قُلْتُ: هلا قيل في يومين وأي فائدة في هذه الفلذكة؟ قُلْتُ: إذا قال في أربعة أيام وقد نكر أن الأرض خلقت في يومين علم أن ما فيها خلق في يومين فبقيت المخايرة بين أن تقول في يومين، وأن تقول في أربعة أيام

(3) سورة النازعات، الآية: 30.

(1) سورة المرسلات، الآية: 27.

(2) سورة فصلت، الآية: 6.

جانب واجتهدوا بهم وأعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم إلا العتو والإعراض كما حكى الله تعالى عن الشيطان لأتنيهم من بين أيديهم ومن خلفهم يعني لأتنيهم من كل جهة، ولا عملن فيهم كل حيلة وتقول استدرت بفلان من كل جانب فلم يكن لي فيه حيلة وعن الحسن أنزروهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الأمم وعذاب الآخرة لأنهم إذا حذروهم ذلك، فقد جاؤهم بالوعظ من جهة الزمن الماضي وما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل وما سيجري عليهم، وقيل معناه إذ جاءتهم الرسل من قبلهم ومن بعدهم.

فإن قُلْتُ: الرسل الذين من قبلهم ومن بعدهم كيف يوصفون بأنهم جاؤهم، وكيف يخاطبونهم بقولهم إنا بما أرسلتم به كافرون؟ قُلْتُ: قد جاءهم هود وصالح داعيين إلى الإيمان بهما وبجميع الرسل ممن جاء من بين أيديهم أي من قبلهم وممن يجيء من خلفهم أي من بعدهم فكان الرسل جميعاً قد جاؤهم وقولهم إنا بما أرسلتم به كافرون خطاب منهم لهود وصالح ولسائر الأنبياء الذين دعوا إلى الإيمان بهم، أن في ﴿أن لا تعبدوا﴾ بمعنى أي أو مخففة من الثقلية أصله بأنه لا تعبدوا أي بأن بالشان والحديث قولنا لكم لا تعبدوا، ومفعول شاء محذوف أي ﴿لو شاء ربنا﴾ إرسال الرسل ﴿لأنزل ملائكة فإنا بما أرسلتم به كافرون﴾ معناه فإذا أنتم بشر ولستم بملائكة فإنا لا نؤمن بكم وبما جئتم به، وقولهم أرسلتم به ليس بإقرار بالإرسال، وإنما هو على كلام الرسل وفيه تهكم كما قال فرعون: إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون. روي أن أبا جهل قال في ملا من قريش، قد التبس علينا أمر محمد فلو التستم لنا رجالاً عالماً بالشعر والكهانة والسحر، فكلمه ثم أتانا ببيان عن أمره فقال عتبة بن ربيعة: والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علماً وما يخفى علي فاتاه فقال: أنت يا محمد خير أم هاشم أنت خير أم عبد المطلب أنت خير أم عبد الله فبم تشتم آلهتنا وتضللنا فإن كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسنا وإن تك بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختار من أي بنات قريش شئت، وإن كان بك المال جمعنا لك من أموالنا ما تستغني به، ورسول الله ﷺ ساكت فلما فرغ قال: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حم﴾ إلى قوله: ﴿صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود﴾ فأمسك عتبة على فيه، وناشده بالرحم ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش فلما احتبس عنهم قالوا: ما نرى عتبة إلا قد صبا فانطلقوا إليه وقالوا: يا عتبة ما حسبك عنا إلا أنك قد صبت فغضب وأقسم لا يكلم محمداً أبداً ثم قال: والله لقد كلمته أجنبي بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة، عاد وثمود أمسكت بفيه وناشدته بالرحم أن يكف وقد علمت أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب فحفت أن ينزل بكم

فإن قُلْتُ: ما معنى طوعاً أو كرهاً؟ قُلْتُ: هو مثل اللزوم تأثير قدرته فيهما وأن امتناعهما من تأثير قدرته محال كما يقول الجبار لمن تحت يده لنفعلن هذا شئت أو أبيت ولتفعلنه طوعاً أو كرهاً وانتصابهما على الحال بمعنى طائعتين أو مكرهتين.

فإن قُلْتُ: هلا قيل طائعتين على اللفظ، أو طائعات على المعنى لأنها سموات وأرضون قُلْتُ: لما جعلن مخاطبات ومجيبات ووصفن بالطوع والكراهة قيل طائعتين في موضع طائعات نحو قوله ساجدين.

فَمَنْزَعَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرًا وَرَبَّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَتَابِعِهَا وَمِمَّا جَعَلْنَا فِيهَا لِقَاءَ رُوحِكَ وَالرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١٧﴾

﴿ففضاهن﴾ يجوز أن يرجع الضمير فيه إلى السماء على المعنى كما قال: طائعتين ونحوه أعجاز نخل خاوية، ويجوز أن يكون ضميراً مبهماً مفسراً بسبع سموات والفرق بين النصيبين أن أحدهما على الحال والثاني على التمييز قبل خلق الله السموات وما فيها في يومين في يوم الخميس والجمعة، وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة وفي هذا دليل على ما نكرت من أنه لو قيل في يومين في موضع أربعة أيام سواء لم يعلم أنهما يومان كاملان أو ناقصان.

فإن قُلْتُ: فلو قيل خلق الأرض في يومين كاملين وقدر فيها اقواتها في يومين كاملين، أو قيل بعد نكر اليومين تلك أربعة سواء قُلْتُ: الذي أورد سبحانه أخضر، وأفصح وأحسن طباقاً لما عليه التنزيل من مغاظة القرائح ومصاك الركب ليطييز الفاضل من الناقص والمتقدم من الناكس، وترتفع الدرجات ويتضاعف الثواب ﴿أمرها﴾ ما أمر به فيها وببره من خلق الملائكة والنيرات وغير ذلك أو شأنها وما يصلحها ﴿وحفظها﴾ وحفظناها حفظاً يعني من المستترقة بالثواب ويجوز أن يكون مفعولاً له على المعنى كانه قال: وخلقنا المصاييح زينة وحفظاً.

فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾

﴿فإن أعرضوا﴾ بعدما نتلر عليهم من هذه الحجج على وحدانيته وقدرته، فحذرهم أن تصيبهم صاعقة أي عذاب شديد الوقع كانه صاعقة، وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهي المرة من الصعق، أو الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقاً فصعق صعقاً وهو من باب فعلته ففعل.

إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَرِثَ خَلْفَهُمْ أَلَّا تَسْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ قَالُوا لَوْ سَاءَ رَبَّنَا لَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ آتِيَةً يُهْرِقُ كِفْرُونَ ﴿١٩﴾

﴿من بين أيديهم ومن خلفهم﴾ أي أتوهم من كل

(العذاب⁽¹⁾).

وقرئ: ﴿ثَمُودٌ﴾ بالرفع والنصب منونًا وغير منون والرفع أقصح لوقوعه بعد حرف الابتداء، وقرئ بضم التاء ﴿فَهَيْبِنَاهُمْ﴾ فللناهم على طريقي الضلالة والرشد كقوله تعالى: ﴿وَهَيْبِنَاهُ النَّجْدِينَ﴾⁽²⁾ ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ فاختراروا الدخول في الضلالة على الدخول في الرشده.

فإن قُلْتُ: أليس معنى هديته حصلت فيه الهدى والدليل عليه قولك هديته فاهتدى بمعنى تحصيل البغية، وحصوها كما نقول رديته فارتدع فكيف ساغ استعماله في الدلالة المجردة؟ قُلْتُ: للدلالة على أنه مكنهم وأزاح عنهم ولم يبق له عذراً ولا علة فكانه حصل البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها ويقتضيها ﴿صَاعِقَةُ الْعَذَابِ﴾ داهية العذاب وقارعة العذاب. و﴿الهُون﴾ الهوان وصف به العذاب مبالغة، أو أبهله منه ولو لم يكن في القرآن حجة على القدرية الذين هم مجوس هذه الأمة بشهادة نبيها ﷺ وكفى به شاهداً إلا هذه الآية لكفى بها حجة.

وَيَوْمَ يُحْزَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٨﴾

قرئ: ﴿يُحْشَرُ﴾ على البناء للمفعول ويحشر بالنون وضم الشين وكسرها، ويحشر على البناء للفاعل أي يحشر الله عز وجل ﴿أَعْدَاءُ اللَّهِ﴾ الكفار من الأولين والآخرين ﴿يُوزَعُونَ﴾ أي يحبس أولهم على آخرهم أي يستوقف سوابقهم حتى يلحق بهم تواليهم وهي عبارة عن كثرة أهل النار نسال الله أن يجيرنا منها بسعة رحمته.

حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءَهَا سَيْدٌ عَلَيْهِمْ سَمِعَتْهُمُ أَبْصَرَتْهُمْ وَبَدَرَتْهُمُ بِمَا كَانُوا يَمْكُونُ ﴿١٩﴾

فإن قُلْتُ: ما في قوله: ﴿حتى إذا ما جاؤها﴾ ما هي؟ قُلْتُ: مزيدة للتأكيد ومعنى التأكيد فيها أن وقت مجيئهم النار لا محالة أن يكون وقت الشهادة عليهم ولا وجه لأن يخلو منها ومثله قوله تعالى: أثم إذا ما وقع أمنتكم به أي لا بد لوقت وقوعه من أن يكون وقت إيمانهم به شهادة الجلود بالملامسة للحرام وما أشبه ذلك مما يقضي إليها من المحرمات.

فإن قُلْتُ: كيف تشهد عليهم أعضاؤهم وكيف تنطق؟ قُلْتُ: الله عز وجل ينطقها كما أنطق الشجرة بأن يخلق فيها كلاماً، وقيل المراد بالجلود الجوارح وقيل هي كناية عن الفروج أراد بكل شيء كل شيء من الحيوان كما أراد به في قوله تعالى: ﴿وَالله على كل شيء قدير﴾⁽³⁾ كل شيء من المقدرات، والمعنى: أن نطقنا ليس بعجب من قدرة الله الذي قدر على إنطاق كل حيوان وعلى خلقكم وإنشائكم أول مرة وعلى إعانتكم ورجعكم إلى جزائه.

﴿فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي تعظموا فيها على أهلها بما لا يستحقون به التعظم، وهو القوة وعظم الأجرام أو استلوا في الأرض واستولوا على أهلها بغير استحقاق للولاية ﴿وَمَنْ أَشَدَّ قُوَّةً﴾ كانوا ذوي أجسام طوال وخلق عظيم وبلغ من قوتهم أن الرجل كان ينزع الصخرة من الجبل فيقتلعها بيده.

فإن قُلْتُ: القوة هي الشدة والصلابة في البنية وهي نقيضة الضعف وأما القدرة فما لأجله يصح الفعل من الفاعل من تميز بذات أو بصحة بنية وهي نقيضة العجز والله سبحانه وتعالى لا يوصف بالقوة إلا على معنى القدرة فكيف صحَّ قوله: ﴿هو أشد منهم قوة﴾، وإنما يصح إذا أريد بالقوة في الموضوعين شيء واحد؟ قُلْتُ: القدرة في الإنسان هي صحة البنية، وحقيقتها زيادة القدرة فكما صحَّ أن يقال الله أقدر منهم جاز أن يقال أقوى منهم على معنى أنه يقدر لذاته على ما لا يقدرون عليه بازدياد قدرهم ﴿ييجحدون﴾ كانوا يعرفون أنها حق، ولكنهم جحدوها كما يجحد المودع الوبيعة وهو معطوف على فاستكبروا أي كانوا كفرة فسقة.

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَدِبَهُمْ عَذَابَ الْبَرْزِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ لَهُمْ وَلَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠﴾

الصرصصر العاصفة التي تصرصر أي تصوت في هبوبها وقيل الباردة التي تحرق بشدة بردها تكرير لبناء الصر. وهو البرد الذي يصري أي يجمع ويقبض ﴿نَحْسَاتٍ﴾ قرئ بكسر الحاء وسكونها ونحس نحساً نقيض سعد سعداً وهو نحس وأما نحس فإمماً مخفف نحس أو صفة على فعل كالضخم وشبهه أو وصف بمصدر، وقرئ لتنيقهم على أن الإذاعة للريح أو للأيام النحسات، وأضاف العذاب إلى الخزي وهو النذل والاستكانة على أنه وصف للعذاب كأنه قال: عذاب خز كما تقول فعل السوء تريد الفعل السيء والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ﴾ وهو من الإسناد المجازي، ووصف العذاب بالخزي أبلغ من وصفهم به ألا ترى إلى البون بين قوليك هو شاعر وله شعر شاعر.

وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْكَلْبِ فَخَلَّتْهُمُ حَمِيمَةٌ الْعَذَابِ الْمُؤِينِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٢١﴾ وَجِئْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا بِنُفُوسِهِمْ

(٢١)

(1) أخرجه البيهقي، وأبو نعيم في دلائل النبوة، الزيلعي: 228/3.

(3) سورة الحشر، الآية: 6.

(2) سورة البلد، الآية: 10.

وهو ينهاهم عن اتباع خطواتهم؛ قُلْتُ: معناه أنه خذلهم ومنعهم التوفيق لتصميمهم على الكفر فلم يبق لهم قرناء سوى الشياطين، والدليل عليه ومن يعيش نقبض ﴿ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ ما تقدم من أعمالهم وما هم عازمون عليها أوما بين أيديهم من أمر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من أمر العاقبة، وإن لا يعث ولا حساب ﴿ووحق عليهم القول﴾ يعني كلمة العذاب ﴿في أمم﴾ في جملة أمم ومثل في هذه ما في قوله:

إن تك عن أحسن الصنعية ما فوكأفني آخرين قد أنكروا
يريد فانت في جملة آخرين وانت في عداد آخرين لست
في نلك باوحد.

فإن قُلْتُ: في أمم ما محله! قُلْتُ: محله النصب على الحال من الضمير في عليهم أي حق عليهم القول كائنين في جملة أمم ﴿إنهم كانوا خاسرين﴾ تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم، وللأمم.

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِنَا الْقُرْآنَ إِنَّا كُنَّا لَمَكْرُؤًا قَبِيلُونَ ﴿١٦﴾

قرئ: ﴿والغوا﴾ فيه بفتح الغين وضمها يقال لغى يلغي ولغا يلغو واللغو الساقط من الكلام الذي لا طائل تحته قال من اللغا ورفث التكلم، والمعنى: لا تسمعوا له إذا قرئ وتشاغلوا عند قراءته برفع الأصوات بالخرافات والهديان والزمل، وما أشبه ذلك حتى تخططوا على القارئ وتشوشوا عليه وتغلبوه على قراءته كانت قریش يوصي بذلك بعضهم بعضاً.

فَلْيَذِيقُوا الْعَذَابَ عَذَابًا شَدِيدًا الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَكُمْ يَوْمَ الْتَمَتْتِيبِ ﴿١٧﴾

﴿فلنذيقن الذين كفروا﴾ يجوز أن يريد بالذين كفروا هؤلاء اللادين والأميرين لهم باللغو خاصة وأن ينكر الذين كفروا عامة لينطوا تحت نكرهم، وقد نكرنا إضافة أسوأ بما أغنى عن إعادته وعن ابن عباس ﴿عذاباً شديداً﴾ يوم بدر، ﴿وأسوأ الذي كانوا يعملون﴾ في الآخرة.

ذَلِكَ جَزَاءُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٨﴾

﴿نلك﴾ إشارة إلى الأسوأ ويجب أن يكون التقدير أسوأ جزاء الذين كانوا يعملون حتى تستقيم هذه الإشارة ﴿والنار﴾ عطف بيان للجزاء أو خير مبتدا محذوف.

فإن قُلْتُ: ما معنى قوله تعالى ﴿لهم فيها دار الخلد﴾ قُلْتُ: معناه أن النار في نفسها دار الخلد كقوله تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾⁽²⁾ والمعنى: أن رسول الله ﷺ أسوة حسنة وتقول لك في هذه الدار دار السرور و أنت تعني الدار بعينها ﴿جزاء بما كانوا بأيأتنا

وَقَالُوا لِمَ يُعَذِّبُهُمْ رَبُّهُمْ لَمْ نَأْمُرْ بِالْقَوْلِ الَّذِي أُنزِلَ عَلَيْهِمْ لَمَّا كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٩﴾

وإنما قالوا لهم: ﴿لم شهتتم علينا﴾ لما تعاضهم من شهادتها وكبر عليهم من الافتضاح على السنة جوراحهم.

وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمَكْرًا وَلَا أَصْرَكُمْ وَلَا جُورَكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَمُرُّ كَيْدًا وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾

المعنى: أنكم كنتم تستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفواحش وما كان استتاركم ذلك خيفة أن يشهد عليكم جوراحكم لأنكم كنتم غير عالمين بشهادتها عليكم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء أصلاً ولكنكم إنما استترتم لظنكم ﴿أن الله لا يعلم كثيراً مما﴾ كنتم ﴿تعملون﴾ وهو الخفيات من أعمالكم ونلك الظن هو الذي أهلككم وفي هذا تنبيه على أن من حق المؤمن أن لا يذهب عنه ولا يزل عن ذهنه أن عليه من الله عيناً كالثقة ورقبياً مهيمناً حتى يكون في أوقات خلواته من ربه أهيب وأحسن احتشاماً وأوفر تحفظاً وتصوناً منه مع الملا ولا يتبسط في سره مراقبة من التشبه بهؤلاء الظانين.

وَذِكْرُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢١﴾

وقرئ ولكن زعمتم ﴿ونلكم﴾ رفع بالابتداء ﴿وظنكم﴾ و﴿أرداكم﴾ خبران، ويجوز أن يكون ظنكم بدلاً من نلكم وأرداكم الخبر.

فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالتَّارُ مَتْوًى لَّهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا لَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ ﴿٢٢﴾

﴿فإن يصبروا﴾ لم ينفهم الصبر، ولم ينفكوا به من التواء في النار ﴿وإن يستعتبوا﴾ وإن يسألوا العتبي وهي الرجوع لهم إلى ما يحبون جزعاً مما هم فيه لم يعتبوا لم يعطوا العتبي، ولم يجابوا إليها ونحوه قوله عز وعلا: ﴿أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص﴾، وقرئ ﴿وإن يستعتبوا﴾ فما هم من المعتبين أي إن سئلوا أن يرضوا ربهم فما هم فاعلون أي لا سبيل لهم إلى نلك.

﴿وَقَضَيْنَا لَهُمْ قُرْآنَهُمْ فَرَقْنَاهُمْ وَمَا خَلْفَهُمْ رَحَىٰ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَسْمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْإِنْسِ وَإِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وقضينا لهم﴾ وقدرنا لهم يعني لمشركي مكة يقال هذان ثوبان قيطان إذا كان متكافئين، والمقايضة المعاوضة ﴿قرناء﴾ أخذاناً من الشياطين جمع قرين كقوله تعالى: ﴿ومن يعيش عن نكر الرحمن نقبض له شيطاناً فهو له قرين﴾⁽¹⁾.

فإن قُلْتُ: كيف جاز أن يقبض لهم القرناء من الشياطين

تَشْتَعِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾.

كما أنّ الشياطين قرناء العصاة وإخوانهم فكنلك
الملائكة أولياء المتقين وأحباؤهم في الدارين ﴿تدعون﴾
تتمنون.

نَزَّلَا مِنْ عَرْشِ رَبِّهِمْ ﴿٣٢﴾.

والنزل رزق النزول وهو الضيف وانتصابه على الحال.

وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَصَلَّيْ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ
الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾.

﴿ممن دعا إلى الله﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما
هو رسول الله ﷺ عليه وسلم دعا إلى الإسلام ﴿وعمل
صالحًا﴾ فيما بينه وبين ربه وجعل الإسلام نحلة له
وعنه أنهم أصحاب رسول الله ﷺ وعن عائشة رضي الله
عنها ما كنا نشك أن هذه الآية نزلت في المؤمنين وهي
عامة في كل من جمع بين هذه الثلاث أن يكون موحدًا
معتقد الدين الإسلام عاملاً بالخير داعيًا إليه وما هم إلا
طبقة العالمين العاملين من أهل العمل والتوحيد الدعاء إلى
دين الله وقوله ﴿وقال إنني من المسلمين﴾ ليس الغرض
أنه تكلم بهذا الكلام، ولكن جعل دين الإسلام مذهبه
ومعتقده كما تقول هذا قول أبي حنيفة تريد مذهبه.

وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي
بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾.

يعني أنّ الحسنة والسيئة متفاوتتان في أنفسهما فخذ
بالحسنة التي هي أحسن من أختها إذا اعترضتك حسنتان
فادفع بها السيئة التي ترد عليك من بعض أعدائك ومثال
ذلك رجل إساء إليك إساءة، فالحسنة أن تعفو عنه والتي
هي أحسن أن تحسن إليه مكان إساءته إليك مثل أن يذمك
فتمدحه ويقتل ولدك فتفتدي ولده من يد عدوه فإنك إذا
فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولي الحميم مصافاة
لك، ثم قال: وما يلقي هذه الخليفة أو السجية التي هي
مقابلة الإساءة بالإحسان إلا أهل الصبر، وإلا رجل خير
وفق لحظ عظيم من الخير.

فإن قلت: فهلا قيل فادفع بالتي هي أحسن! قلت: هو
على تقدير قائل قال فكيف أصنع فقيل ادفع بالتي هي
أحسن، وقيل لا مزيدة والمعنى: ولا تستوي الحسنة
والسيئة.

فإن قلت: فكان القياس على هذا التفسير أن يقال ادفع
بالتي هي حسنة قلت: أجل ولكن وضع التي هي أحسن
موضع الحسنة ليكون أبلغ في الدفع بالحسنة لأن من دفع
بالحسنى هان عليه الدفع بما هو دونها.

يجحدون﴾ أي جزء بما كانوا يلغون فيها فنكر الجحود
الذي هو سبب اللغو.

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا لَدُنَّكَ مِنَ الْإِنسِ وَالْإِنسِ
جَمْعُهُمْ حَتَّى أَتَيْنَا لِكُفْرَانِكُمْ مِنَ الْأَشْفِيَاءِ ﴿٣٥﴾.

﴿الذين أضلانا﴾ أي الشيطانين الذين أضلانا ﴿من
الجن والإنس﴾ لأن الشيطان على ضربين جنّي وإنسي
قال الله تعالى: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوًا شياطين
الإنس والجن﴾ (1) وقال تعالى: ﴿الذي يوسوس في صدور
الناس من الجنة والناس﴾ (2) وقيل: هما إبليس وقابيل
لانهما سنا الكفر والقتل بغير حق، وقرئ: أرننا بسكون الراء
لثقل الكسرة كما قالوا في فخذ فخذ وقيل معناه أعطنا
الذين أضلانا وحكوا عن الخليل أنك إذا قلت أرني ثوبك
بالكسر، فالمعنى بصرنيه وإذا قلته بالسكون فهو استعطاء
معناه أعطني ثوبك ونظيره اشتهار الإيتاء في معنى
الإعطاء وأصله الإحضار.

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَرَكَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ
أَلَّا تَحْفَظُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْبَشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾.

﴿ثم﴾ لتراخي الاستقامة عن الإقرار في المرتبة
وفضلها عليه لأن الاستقامة لها الشأن كله ونحوه وقوله
تعالى إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله، ثم لم
يرتابوا والمعنى ثم ثبتوا على الإقرار ومقتضياته وعن أبي
بكر الصديق رضي الله عنه استقاموا فعلاً كما استقاموا
قولاً وعنه أنه تلاها، ثم قال: ما تقولون فيها؟ قالوا: لم
ينبوا قال: حملتم الأمر على أشده قالوا: فما تقول؟ قال:
لم يرجعوا إلى عبادة الأوثان. وعن عمر رضي الله عنه:
استقاموا على الطريقة لم يروغوا وغان الثعالب، وعن
عثمان رضي الله عنه أخلصوا العمل وعن علي رضي الله
عنه أدوا الفرائض وقال سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله
عنه قلت يا رسول الله أخبرني بأمر أعتصم به قال: قل
ربّي الله، ثم استقم قال فقلت ما أخوف ما تخاف على
فأخذ رسول الله ﷺ بلسان نفسه فقال هذا ﴿تتنزل
عليهم الملائكة﴾ عند الموت بالبشرى وقيل البشرى في
ثلاثة مواطن عند الموت، وفي القبر وإذا قاموا من قبورهم
﴿ألا تخافوا﴾ أن بمعنى: أي أو مخففه من الثقل وأصله
بأنه لا تخافوا والهاء ضمير الشأن، وفي قراءة ابن مسعود
رضي الله عنه لا تخافوا أي يقولون لا تخافوا والخوف غم
يلحق لتوقع المكروه، والحزن غم يلحق لوقوعه من فوات
نافع أو حصول ضار والمعنى أنّ الله كتب لكم الأمن من
كل غم فلن تنووه أبداً وقيل لا تخافوا ما تقدمون عليه
ولا تحزنوا على ما خلفتم.

نَحْنُ أَوْلَىٰ بِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا

(2) سورة الناس، الآية: 5.

(1) سورة الانعام، الآية: 112.

وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ سَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُرٌّ حَظِي عَظِيمٍ ﴿٢٦﴾

وعن ابن عباس رضي الله عنهما بالتي هي أحسن الصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الإساءة وفسر الحظ بالثواب، وعن الحسن رحمه الله والله ما عظم حظ دون الجنة وقيل: نزلت في أبي سفيان بن حرب وكان عدواً مؤذياً لرسول الله ﷺ فصار ولياً مصافياً.

وَمَا يَرْزُقُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْوَدَّ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّوْجِدُ الْعَلِيِّ ﴿٢٧﴾

النزغ والنسغ بمعنى وهو شبه النخس والشیطان بنزغ الإنسان كأنه ينخسه ببعثه على ما لا ينبغي وجعل النزغ نازغاً كما قيل جد جده، أو أريد وإما ينزغتك نازغاً وصفاً للشیطان بالمصدر أو لتسويله والمعنى: وإن صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي أحسن ﴿فاستعذ بالله﴾ من شره وامض على شأنك ولا تطعه الضمير في.

وَمِنْ آيَاتِهِ أَلْتَلَّ وَالنَّهَارُ وَاللَّيْلُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا سَجْدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٢٧﴾

﴿خلقهن﴾ لليل والنهار والشمس والقمر لأن حكم جماعة ما لا يعقل حكم الأنثى أو الإناث يقال الأقدام بريتها وبريتها، أو لما قال ومن آياته كن في معنى الآيات فقيل خلقهن.

فإن قلت: أين موضع السجدة؟ قلت: عند الشافعي رحمه الله تعالى ﴿تعبدون﴾ وهي رواية مسروقة عن عبد الله لذكر لفظ السجدة قبلها وعند أبي حنيفة رحمه الله يسامون لأنها تمام المعنى: وهي عن ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب لعل ناساً منهم كانوا يسجدون للشمس والقمر كالصابئين في عبادتهم الكواكب ويزعمون أنهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله فنهوا عن هذه الوساطة وأمروا أن يقصدوا بسجودهم وجه الله تعالى خالصاً إن كانوا إياه يعبدون وكانوا موحدين غير مشركين.

فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُمُ بِأَلْتَلَّ وَالنَّهَارِ رُحْمٌ لَّا تُحْسَبُونَ ﴿٢٨﴾

﴿فإن استكبروا﴾، ولم يمتثلوا ما أمروا به وأبوا إلا الوساطة فدعهم وشأنهم فإن الله عز سلطانه لا يعدم عابداً ولا ساجداً بالإخلاص وله العباد المقربون الذين ينزهونه بالليل والنهار عن الأنداد وقوله ﴿عند ربك﴾ عبارة عن الزلفى والمكانة والكرامة وقرئ لا يسامون بكسر الياء.

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَرَ تَرَى الْأَرْضَ حَنِينَةً إِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ

وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِينَ آجَاهَا لُمُنِي أَلْمَوْقَ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٧﴾

الخشوع التذلل والتقاصر فاستعير لحال الأرض إذا كانت قحطة لا نبات فيها كما وصفها بالهمود في قوله تعالى: ﴿وترى الأرض هامدة﴾ (1) وهو خلاف وصفها بالاهتزاز والربو وهو الانتفاخ إذا أخصبت وتزخرفت بالنبات كأنها بمنزلة المختال في زيه، وهي قبل ذلك كالنليل الكاسف البال في الأطمار الرثة، وقرئ وربات أي ارتفعت لأن الثبت إذا هم أن يظهر ارتفعت له الأرض.

إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَحْفَوْنَ عَلَيْنَا أَمْ يَلْمِزُكَ فِي الثَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِيكُ آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ آمِنًا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾

يقال الحد الحافر ولحد إذا مال عن الاستقامة فحفر في شق فاستعير للانحراف في تأويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة، وقرئ يلحدون ويلحدون على اللغتين وقوله ﴿ولا يخفون علينا﴾ وعيد لهم على التحريف.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٩﴾

فإن قلت: بم اتصل قوله: ﴿إن الذين كفروا بالذكر﴾! قلت: هو بدل من قوله إن الذين يلحدون في آياتنا والذكر القرآن لأنهم لكفرهم به طعنوا فيه وحرفوا تأويله ﴿وإنه لكتاب عزيز﴾ أي منيع محمي بحماية الله تعالى.

لَا يَأْتِيهِ الْبُطُلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَرْجُلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٣٠﴾

﴿لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾ مثل كان الباطل لا يتطرق إليه ولا يجد إليه سبيلاً من جهة من الجهات حتى يصل إليه ويتعلق به.

فإن قلت: أما طعن فيه الطاعنون، وتأوله المبطلون؟ قلت: بلى ولكن الله قد تقدم في حمايته عن تعلق الباطل به بأن قبيض قوماً عارضوهم بإبطال تأويلهم، وإفساد آقاويلهم فلم يخلو طعن طاعن إلا محوقاً ولا قول مبطل إلا مضمحلاً ونحو قوله تعالى: ﴿إننا نحن نزلنا الذكر وإننا له لحافظون ما يقال لك﴾ أي ما يقول لك كفار قومك إلا مثل ما قال للرسول كفار قومهم من الكلمات المؤنبة والمطاعن في الكتب المنزلة إن ربك لنو مغفرة ورحمة لانيباه.

مَا يَقَالُ لَكَ إِلَّا مَا دَدَّ يَدُ الرَّسُولِ مِنْ بَيْنِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَدُوٌّ مَخْفِيٌّ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٌ ﴿٣١﴾

﴿ذو عقاب﴾ لأعدائهم، ويجوز أن يكون ما يقول لك الله إلا مثل ما قال الرسول من قبلك والمقول هو قوله تعالى: ﴿إن ربك لنو مغفرة وذو عقاب أليم﴾ فمن حقه أن يرجوه أهل طاعته ويخافه أهل معصيته.

وَلَقَدْ مَأْيَنَّا مُوسَىٰ الْكَنْبَ فَأَخْلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَفَقِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٦﴾

﴿فاختلف فيه﴾ فقال بعضهم: هو حق، وقال بعضهم: هو باطل الكلمة السابقة هي العدة بالقيامة وأن الخصومات تفصل في ذلك اليوم ولولا ذلك لفضي بينهم في الدنيا قال الله تعالى: ﴿بل الساعة موعدهم﴾⁽¹⁾ ﴿لكن يؤخرهم إلى أجل مسمى﴾⁽²⁾.

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْغَيْرِهِ، وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلْمٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾

﴿فلنفسه﴾ فنفسه نفع ﴿فعلينا﴾ فنفسه ضرر ﴿وما ربك بظلام﴾ فيعذب غير المسيء.

﴿إِلَيْهِ يَرْجِعُ عِلْمَ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ أَكْمَامِهِ وَمَا تُحِيطُ بِشَيْءٍ مِّنْ أَنْتَ وَلَا نَصَحَ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُبَادِرُهُمْ أَزْوَاجُهُمْ قَالُوا مَا أَذْنُكَ مَا مِثْلًا مِنْ شَيْءٍ﴾⁽³⁾.

﴿إليه يرد علم الساعة﴾ أي إذا سئل عنها قيل: الله يعلم أو لا يعلمها إلا الله، وقرئ: من ثمرات من أكمامهم والكم بكسر الكاف وعاء الثمرة كجف الطلعة أي وما يحدث شيء من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع إلا وهو عالم به يعلم عدد أيام الحمل وساعاته وأحواله من الخداج والنمام والذكورة والأنوثة والحسن والقبح وغير ذلك ﴿أين شركائي﴾ أضافهم إليه تعالى على زعمهم وبيانه في قوله تعالى: ﴿أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾⁽³⁾ وفيه تهكم وتقريع ﴿أنتك﴾ أعلمتك ﴿ما منا من شهيد﴾ أي ما منا أحد اليوم وقد أبصرنا وسمعنا يشهد بانهم شركاؤك أي ما منا إلا من هو موحد لك أو ما منا من أحد يشاهدهم لأنهم ضلوا عنهم وضلت عنهم آلهتهم لا يبصرونها في ساعة التوبيخ وقيل هو كلام الشركاء أي ما منا من شهيد يشهد بما أضافوا إلينا من الشركة.

وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُوا مَا لَهُم مِّن نَّجْوَىٰ ﴿٤٨﴾

ومعنى ضلالهم عنهم على هذا التفسير أنهم لا يتفكرون فكأنهم ضلوا عنهم ﴿وظنوا﴾ وأيقنوا والمحيص المهرب.

فإن قلت: أذنك إخبار بليدان كان منهم فإذا قد آذنا فلم سئلوا قلت: يجوز أن يعاد عليهم أين شركائي إعادة للتوبيخ وإعادته في القرآن على سبيل الحكاية دليل على إعادة المحكي ويجوز أن يكون المعنى أنك علمت من قلوبنا وعقائدنا الآن أنا لا تشهد تلك الشهادة الباطلة لأنه إذا علمه من نفوسهم فكأنهم أعلموه ويجوز أن يكون إنشاء للإيدان ولا يكون إخبارًا بليدان قد كان كما تقول أعلم الملك أنه كان

وَلَوْ جَمَلْتَهُ قَوْمًا أَجْمَبًا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ مَا عَجَبْنا وَعَرَفْنَا قُلُومَ الَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَنُورًا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُبَادِرُونَكَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٩﴾

والغرض تخويف العصاة كانوا لتعننتهم يقولون هلا نزل القرآن بلغة العجم فليل لو كان كما يقترحون لم يتركوا الاعتراض والتعنن وقالوا: ﴿لولا فصلت آياته﴾ أي بينت ولخصت بلسان نفقه ﴿أعجمي وعربي﴾ الهمزة همزة الإنكار يعني لانكروا، وقالوا: أقرآن أعجمي ورسول عربي أو مرسل إليه عربي، وقرئ: أعجمي والأعجمي الذي لا يفصح ولا يفهم كلامه من أي جنس كان والعجمي منسوب إلى أمة العجم، وفي قراءة الحسن أعجمي بغير همزة الاستفهام على الإخبار بأن القرآن أعجمي والمرسل أو المرسل إليه عربي والمعنى أن آيات الله على أي طريقة جاءتهم وجدوا فيها متعنتًا لأن القوم غير طالبين للحق، وإنما يتبعون أهواءهم ويجوز في قراءة الحسن هلا فصلت آياته تفصيلاً فجعل بعضها بياناً للعجم وبعضها بياناً للعرب.

فإن قلت: كيف يصح أن يراد بالعربي المرسل إليهم وهم أمة العرب؟ قلت: هو على ما يجب أن يقع في إنكار المنكر لو رأى كتاباً أعجمياً كتب إلى قوم من العرب يقول كتاب أعجمي ومكتوب إليه عربي، وذلك لأن مبني الإنكار على تنافر حالتي الكتاب والمكتوب إليه لا على أن المكتوب إليه واحد، أو جماعة فوجب أن يجرد لما سبق إليه من الفرض ولا يوصل به ما يخل عرضاً آخر ألا تراك تقول وقد رأيت لباساً طويلاً على امرأة قصيرة؛ اللباس طويل واللباس قصير ولو قلت واللباس قصيرة جئت بما هو لكنة وفضل قول لأز الكلام لم يقع في ذكورة اللباس، وأوثقته إنما وقع في غرض وراءهما ﴿هو﴾ أي القرآن ﴿هدى وشفاء﴾ إرشاد إلى الحق وشفاء ﴿لما في الصدور﴾ من الظن والشك.

فإن قلت: ﴿والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر﴾ منقطع عن نكر القرآن، فما وجه اتصاله به قلت: لا يخلو إما أن يكون الذين لا يؤمنون في موضع الجر معطوفاً على قوله تعالى للذين آمنوا على معنى قولك هو للذين آمنوا هدى وشفاء وهو للذين لا يؤمنون في آذانهم وقر إلا أن فيه عطفًا على عاملين وإن كان الأخص يجيزه، وإما أن يكون مرفوعاً على تقدير والذين لا يؤمنون هو في آذانهم وقر على حذف المبتدأ أو في آذانهم منه وقر، وقرئ: وهو عليهم عم وعمى كقوله تعالى: فعميت عليكم ﴿يفنادون من مكان بعيد﴾ يعني: أنهم لا يقبلونه ولا يروونه أسماعهم فمثلهم في ذلك مثل من يصيح به من مسافة شاطة لا يسمع من مثلها الصوت فلا يسمع النداء.

(3) سورة القصص، الآيات: 62 - 74.

(1) سورة القمر، الآية: 46.

(2) سورة النحل، الآية: 61.

من الأمر كيت وكيت.

لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دَعَاؤِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ أَلْتَرُّ فَيُؤَسُّ قَنُوطًا ﴿٤٩﴾

﴿من دعاء الخير﴾ من طلب السعة في المال والنعمة، وقرأ ابن مسعود من دعاء بالخير ﴿وإن مسه الشر﴾ أي الضيقة والفقر ﴿فيؤس قنوط﴾ ولغ فيه من طريقين من طريق بناء فعول ومن طريق التكرير والقنوط أن يظهر عليه أثر اليأس فيتضائل وينكسر أي يقطع الرجاء من فضل الله وروحه وهذه صفة الكافر ببليلى قوله تعالى: ﴿إنه لا يياس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾^(١).

وَلَيْنَ أَذَقْتَهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَدِّ ضَرَّاءَ مَسَّتَهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَطْلَقُ السَّاعَةَ فَلَإِي مَا تَرَخْتُمْ وَإِنِّي لَأَكْفُرُ بِاللَّحْسَنِ فَلَئِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَكَلَّمْتَهُمْ مِنْ عَذَابِ عَلِيِّظٍ ﴿٥٠﴾

وإذا فرجنا عنه بصحة بعد مرض أو سعة بعد ضيق قال ﴿هذا لي﴾ أي هذا حقي وصل إلي لاني استوجبته بما عندي من خير وفضل وأعمال بر أو هذا لي لا يزول عني ونحوه قوله تعالى: ﴿فإذا جاءهم الحسنة قالوا لنا هذه﴾^(٢) ونحو قوله تعالى: ﴿وما أطلق الساعة قائمة﴾ إن نظراً إلا ظناً وما نحن بمستيقنين يريد وما أظنها تكون فإن كانت على طريق التوهم ﴿إن لي﴾ عند الله الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة فائساً أمر الآخرة على أمر الدنيا وعن بعضهم للكافر أمينان يقول في الدنيا: ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى ويقول في الآخرة: يا ليتني كنت تراباً.

وَإِذَا أَمَّنَّا عَلَى الْإِنْسَانِ اعْرِضْ وَنَا بِحَايِهِ. وَإِذَا سَسَّ أَلْتَرُّ قَدُّ دُعَاؤِ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾

وقيل: نزلت في الوليد بن المغيرة فلنخبرنهم بحقيقة ما عملوا من الأعمال الموجبة للعذاب ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها أنهم يستججون عليها كرامة وقربة عند الله وقدما إلى ما عملوا من عمل، فجعلناه هباء منثوراً وذلك أنهم كانوا ينفقون أموالهم رياء الناس وطلباً للافتخار والاستكبار لا غير وكانوا يحسبون أن ما هم عليه سبب الغنى والصحة وأنهم محققون بذلك هذا أيضاً ضرب آخر من طغيان الإنسان إذا أصابه الله بنعمة أبطرت النعمة وكأنه لم يلق يؤساً قط فنسى المنعم وأعرض عن شكر ﴿ونأى بجانبه﴾ أي ذهب بنفسه وتكبر وتعظم، وإن مسه الضر والفقر أقبل على نوام الدعاء وأخذ في التهاطل والتضرع وقد استعير المرض لكثرة الدعاء ودوامه وهو من صفة الأجرام ويستعار له الطول أيضاً كما استعير الغلظ بشدة العذاب، وقرئ: ونأى بجانبه بإمالة الألف وكسر النون للاتباع ونأى على القلب كما قالوا راء في رأى.

فإن قُلْتَ: حقق لي معنى قوله تعالى: ﴿ونأى بجانبه﴾. قُلْتُ: فيه وجهان أن يوضع جانبه موضع نفسه كما نكرنا في قوله تعالى على ما فرطت في جنب الله أن مكان الشيء وجهته ينزل منزلة الشيء نفسه ومنه قوله ونفيت عنه مقام الثنوب يريد ونفيت عنه الثنوب ومنه ولمن خاف مقام ربه ومنه قول الكتاب حضرت فلان ومجلسه وكتبت إلى جهته وإلى جانبه العزيز يريون نفسه، وذاته فكانه قال: ونأى بنفسه كقولهم في المكبر ذهب بنفسه وذهبت به الخيلاء كل مذهب وعصفت به الخيلاء وإن يراد بجانبه عطفه، ويكون عبارة عن الانحراف والازورار كما قالوا: ثنى عطفه وتولى بركته.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ نَمٌّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنَ أَسْلُبُ يَمَنُ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾

﴿أرايتكم﴾ أخبروني ﴿إن كان﴾ القرآن ﴿من عند الله﴾ يعني أن ما أنتم عليه من إنكار القرآن وتكذيبه ليس بأمر صادر عن حجة قاطعة حصلت منكم منها على اليقين وثلج الصور، وإنما هو قبل النظر واتباع الدليل أمر محتمل يجوز أن يكون من عند الله وأن لا يكون من عنده وأنتم لم تنظروا ولم تفحصوا، فما أنكرتم أن يكون حقاً وقد كفرتم به، فأخبروني من أضل منكم وأنتم أبعدتم الشوط في مشاقته ومناصبته ولعله حق فاهلكتم أنفسكم وقوله تعالى: ﴿ممن هو في شقاق بعيد﴾ موضوع موضع منكم بياناً لحالهم وصفتهم.

سُفْرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمُ اللَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾

﴿سفرهم آياتنا في الأفاق وفي أنفسهم﴾ يعني: ما يسر الله عز وجل لرسوله ﷺ وللخلفاء من بعده ونصار دينه في آفاق الدنيا وبلاد المشرق والمغرب عموماً وفي باحة العرب خصوصاً من الفتوح التي لم يتيسر أمثالها لأحد من خلفاء الأرض قبلهم ومن الإظهار على الجبارة والأكاسرة وتغليب قليلهم على كثيرهم وتسليط ضعافهم على أقويائهم وإجرائه على أيديهم أموراً خارجة من المعهود خارقة للعادات ونشر دعوة الإسلام في أقطار المعمورة وبسط دولته في أقاليمها والاستقراء يطلعك في التواريخ، والكتب المدونة في مشاهد أهله وأيامهم على عجائب لا ترى وقعة من وقائعهم إلا علماً من أعلم الله وآية من آياته يقوى معها اليقين ويزداد بها الإيمان ويتبين أن دين الإسلام هو دين الحق الذي لا يحيد عنه إلا مكابر حسه مغالط نفسه، وما الثبات والاستقامة إلا صفة الحق والصدق كما أن الاضطراب والتزلزل صفة الفرية والزور وأن للباطل ريحاً تخفق، ثم تسكن ودولة تظهر، ثم تضمحل ﴿ببربك﴾ في موضع الرفع على أنه فاعل كفى

فإن قُلْتَ: فما رافعه فيمن قرأ نوحى بالنون؟ قُلْتَ: يرتفع بالابتداء، والعزیز وما بعده أخبار والعزیز الحكيم صفتان والظرف خبر.

كَأَنَّ السَّمَوَاتِ يَنْفَطِرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْأَرْضُ يَسْجُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنْ هُوَ الْمُتَوَرِّعُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾.

قرئ: ﴿تَكَادُ﴾ بالتاء والياء وينفطرن ويتفطرن وروى يونس عن أبي عمر، وقراءة غريبة تتفطرن بتاءين مع النون ونظيرها حرف نادر روى في نوادر ابن الأعرابي الإبل تشمن ومعناه يكدن ينفطرن من علو شان الله وعظمته يدل عليه مجيئه بعد العلي العظيم وقيل من دعائهم له ولذا كقوله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطِرْنَ مِنْهُ﴾ (2).

فإن قُلْتَ: لم قال من فوقهن؟ قُلْتَ: لأن أعظم الآيات وألها على الجلال والعظمة فوق السموات وهي العرش والكرسي وصفوف الملائكة المرتجة بالتسبيح والتقديس حول العرش وما لا يعلم كنهه إلا الله تعالى من آثار ملكوته العظمى، فلذلك قال: ﴿يَنْفَطِرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ أي يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية أو لأن كلمة الكفر جاءت من الذين تحت السموات فكان القياس أن يقال: ينفطرن من تحتهن من الجهة التي جاءت منها الكلمة ولكنه بولغ في ذلك فجعلت مؤثرة في جهة الفوق كأنه قيل: يكدن ينفطرن من الجهة التي فوقهن دع الجهة التي تحتهن ونظيره في المبالغة قوله عزّ وعلا: يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم فجعل الحميم مؤثراً في أجزائهم الباطنة وقيل: من فوقهن من فوق الأرضين.

فإن قُلْتَ: كيف صح أن يستغفروا لمن في الأرض وفيهم الكفار أعداء الله وقد قال الله تعالى: ﴿أولئك عليهم لعنة الله والملائكة﴾ (3) فكيف يكونون لاعتين مستغفرين لهم؟ قُلْتَ: قوله: ﴿لمن في الأرض﴾ يدل على جنس أهل الأرض وهذه الجنسية قائمة في كلهم وفي بعضهم فيجوز أن يراد به هذا وهذا قد دل الليل على أن الملائكة لا يستغفرون إلا لأولياء الله وهم المؤمنون فما أراد الله إلا إياهم ألا ترى إلى قوله تعالى في سورة المؤمن ﴿ويستغفرون للذين آمنوا﴾ (4) وحكايتهم عنهم ﴿فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك﴾ (5) كيف وصفوا المستغفر لهم بما يستوجب به الاستغفار فما تركوا للذين لم يتوبوا من المصنّين طمعاً في استغفارهم فكيف للكفرة ويحتمل أن يقصدوا بالاستغفار طلب اللحم والغفران في قوله تعالى: ﴿إن الله يممسك السموات والأرض أن تزولا﴾، إلى أن قال: ﴿إنه كان حليماً غفوراً﴾ (6) وقوله تعالى: ﴿إن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم﴾ (7) والمراد

وإنه على كل شيء شهيد بدل منه تقديره أولم يكفهم أن ربك على كل شيء شهيد ومعناه أن هذا الموعود من إظهار آيات الله في الأفاق وفي أنفسهم سيرونه، ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك أن القرآن تنزيل عالم الغيب الذي هو على كل شيء شهيد أي مطلع مهيمن يستوي عنده غيبه وشهادته فيكفيهم ذلك دليلاً على أنه حق وأنه من عنده ولو لم يكن كذلك لما قوي هذه القوة، ولما نصر حاملوه هذه النصرة.

أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيعَةٍ مِنَ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ ﴿٥٦﴾.

وقرئ: ﴿في مرية﴾ بالضم وهي الشك ﴿محيط﴾ عالم بجمل الأشياء وتفصيلها وظواهرها وبواطنها فلا تخفى عليه خافية منهم وهو مجازيهم على كفرهم ومريتهم في لقاء ربهم عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة السجدة أعطاه الله بكل حرف عشر حسنات» (1).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الشورى مكية

حذ (1) عَسَق (2).

قرأ ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما حم سق. كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ أَعْلَمُ الْغُيُوبِ ﴿٣﴾ لَمْ يَأْتِ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٤﴾.

﴿حذلك يوحى إليك﴾ أي مثل ذلك الوحي أو مثل ذلك الكتاب إليك وإلى الرسل ﴿من قبلك الله﴾ يعني أن ما تضمنته هذه السورة من المعاني قد أوحى الله إليك مثله في غيرها من السور وأوحى من قبلك إلى رسله على معنى: أن الله تعالى كرّر هذه المعاني في القرآن في جميع الكتب السماوية لما فيها من التنبيه البليغ واللفظ العظيم لعباده من الأولين والآخرين ولم يقل أوحى إليك ولكن على لفظ المضارع ليبدل على أن إحياء مثله عابته، وقرئ: يوحى إليك على البناء للمفعول.

فإن قُلْتَ: فما رافع اسم الله على هذه القراءة قُلْتَ: ما دل عليه يوحى كأن قائلًا قال من الموحى فقيل الله كقراءة السلمى، وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم على البناء للمفعول ورفع شركائهم على معنى زينه لهم شركاؤهم.

(5) سورة غافر، الآية: 7.
(6) سورة فاطر، الآية: 41.
(7) سورة الشورى، الآية: 5.

(1) نكرة الثعلبي وابن مروي، الزيلعي 230/3.
(2) سورة مريم، الآية: 90.
(3) سورة البقرة، الآية: 161.
(4) سورة غافر، الآية: 7.